# التكامل المعرفي أهميته وأثره العملي، كتاب قناطر الخيرات للإمام الجيطالي أنموذجا

أ.د سليمان بن علي بن عامر الشعيلي[1]،أ.د المبروك المنصوري الشيباني[2] ، د. أحمد بن يحيى الكندي[3]

كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

sulayman@squ.edu.om

0096899224022

**مخلص البحث:**

لا شك أن فصل العلوم عن بعضها وتجزئتها إلى أجزاء غير مترابطة، يؤدي إلى نقص المعرفة وتشويهها، مما قد يتسبب في الخطأ في النتائج والأحكام. وعليه فإن قضية التكامل بين فروع المعرفة، وبين العلم والعمل مسألة مهمة لا تجد كثيرا من الاهتمام بين المؤلفين، خاصة الأقدمين منهم، ويعد الإمام اسماعيل الجيطالي، وقبله الإمام الغزالي من أهم من كتب في هذه القضية.. يهدف المقال إلى بيان أهمية التكامل المعرفي، ثم إظهار مكانة الإمام الجيطالي بين علماء جبل نفوسة، وأهمية كتابه قناطر الخيرات، وكيف تناول قضية التكامل بين فروع المعرفة، وبين العلم والعمل، وخلص المقال إلى نتائج منها، إعجاب الجيطالي بكتاب العزالي إحياء علوم الدين، واعتماده كأساس لكتابه قناطر الخيرات، وإلحاحه على ضرورة التكامل بين فروع العلم من جهة، وبين العلم والعمل من جهة أخرى، وأن العلم الحقيقي هو العلم بالله، أي العلم الذي يثمر عملا تكون به النجاة يوم القيامة.

**الكلمات المفتاحية:** الجيطالي، قناطر الخيرات، التكامل

**Abstract**

There is no doubt that separating sciences from each other and dividing them into unrelated parts leads to a lack of knowledge and distortion, which may cause errors in results and judgments. Accordingly, the issue of integration between branches of knowledge, and between knowledge and action, is an important issue that does not receive much attention among authors, especially the older ones. Imam Ismail al-Jitali, and before him Imam al-Ghazali, are among the most important authors who wrote on this issue. The article aims to demonstrate the importance of cognitive integration. Also shows the status of Imam al-Jitali among the scholars of *Jabal Nafusa*, the importance of his *book Qanater al-Khairat*, and how he addressed the issue of integration between branches of knowledge, and between knowledge and action. The article concluded with results including al-Jitali's admiration for al-Azali's book *Ihya Ulum al-Din*, and his adoption of it as a basis for his book. The article emphasizes the al-Jitali's insistence on the necessity of integration between branches of knowledge on the one hand, and between knowledge and action on the other hand. Finaly, shows that true knowledge is knowledge of God, i.e. the knowledge that produces action that will lead to salvation on the Day of Judgment.

**Keywords:** Al-Jitali, Qanater al-Khairat, integration

**المقدمة:**

من القضايا المهمة التي لم تنل اهتماما كافيا بين الباحثين هي ضرورة تكامل العلوم، وخطورة تجزئتها إلى فروع متباينة إذ يؤدي إلى تشويه المعرفة، والخطأ في النتائج والأحكام. ويعتقد الباحثون أن من الكتب المميزة التي عنيت بهذا الجانب، كتاب قناطر الخيرات، للعلامة الجيطالي. يمكننا إيجاز أهداف مقالنا فيما يلي:

1. بيان مفهوم التكامل المعرفي وأهميته
2. ابراز دور الفروع المختلفة في تكامل المعرفة عند الجيطالي
3. اظهار التكامل بين الفكر والعمل عند الجيطالي

وقد نال الجيطالي حظا جيدا من الدراسات والأبحاث العلمية، لكن لم يجد الباحثون دراسة جادة في موضوع التكامل الفكري أو المعرفي عند الجيطالي، فكان هذا المقال استجابة لهذا النقص وعسى أن يسد جانبا من هذه القضية وقد جاء في ثلاثة مباحث: الأول في مفهوم التكالم المعرفي وأهميته، والثاني في التعريف بالإمام الجيطالي وكتابه، وكشف الثالث عن بعض جوانب التكامل المعرفي المهمة في كتاب قناطر الخيرات.

**المبحث الأول: التكامل المعرفي مفهومه وأهمية**

**المطلب الأول: تعريف التكامل المعرفي**

التكامل: أصله من الفعل كمل قال ابن منظور: الكمال: التمام، وقيل: التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه، وفيه ثلاث لغات: كمل الشيء يكمل، وكمل كمالا وكمولا؛ قال الجوهري: والكسر أردؤها. وشيء كميل: كامل، جاءوا به على كمل؛ وأنشد سيبويه:

على أنه بعدما قد مضى ثلاثون للهجر حولا كميلا وتكمل: ككمل. وتكامل الشيء وأكملته أنا وأكملت الشيء أي أجملته وأتممته، وأكمله هو واستكمله وكمله: أتمه وجمله، والتكميل والإكمال: التمام. واستكمله: استتمه[1]

اما المعرفي فيرجع إلى الفعل عرَفَ يَعرِف، عَرَف عِرْفانًا، وعِرِفَّانًا، ومَعْرِفةً،

فهو عارفٌ، وعَرِيفٌ، وهو، وهي عَروفٌ، وهو عَرُوفَةٌ، والمفعول مَعْروف، وعَرَف الشيءَ: أدركه بحاسَّةٍ من حواسِّه، وعرَّف الشَّيءَ: حدَّد معناه بتعيين جنسه ونوعه وصفاته

وعرفها الاصفهاني بأنها: "إدراك الشيء بتفكر، وتدبر، لأثره وهو أخص من العلم، ويضاده: النكار".[2]

ويعرفها أحد العلماء بقوله: "هي إدراك ما لصور الأشياء، أو صفاتها، أو سماتها وعلاماتها، أو للمعاني المجردة، سواء أكان لها في غير الذهن وجودا او لا، وكمال المعرفة تكون بمطابقة جمال الادراك، لما عليه

[1] انظر، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير وآخرون، دار المعارف، ص 3939 (نسخة الكترونية)

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص 331

المدرك في واقع نفسه، من صورة أو صفة أو سمة وعالمة، أو وجود أو عدم، أو حق أو باطل، أو غير ذلك مما يتعلق به"[3]، و بهذا يصبح التكامل المعرفي، يعني تكامل مصادر المعرفة وهما: وهما الوحي والوجود، وتكامل مصادر المعرفة، وهما: الحس والعقل، وفق نظرة شمولية بعيدة عن التقسيم.

وعليه يمكن القول بأن التكامل المعرفي هو تلك ذلك التصور الاسلامي الشامل الذي يجمع بين ما جاء به الوحي من عند الله تعالى وبين ما يكتسبه الإنسان باعتباره كائنا بشريا خلق لعمارة الأرض والاستخلاف فيها، وهذا التصور يشمل جميع المجالات الإنسانية ، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحنى العلوم الطبيعية في مجالاتها المختلفة، بمعنى ربط السنن الطبيعية الكونية والحقائق العلمية، ببعضها وتفسيرها من خلال الملاحظة والتجربة الإنسانية ثم هداية الوحي، اي التوفيق بين ما كان وحيا الهيا وبين الانتاج البشري، لتصبح نسقا واحدا متسقا تظهر منه الصورة الكلية للقانون الإلهي، وهذه هي الصورة الكاملة والتعريف الواسع للتكامل المعرفي. [4]

وإذا نظرنا للتكامل المعرفي في معناه الاصطلاحي فيمكن تعريفه بأنه: تقديم المعرفة بشكل نسقي في صورة معارف مترابطة دون تجزيء أو تقسيم في مجالاتها المختلفة. ويعرفه عدد من الباحثين في مجال التربية والتعليم بأنه: "محاولة للربط بين الموضوعات الدراسية المختلفة، التي تقدم للطالب في شكل مترابط ومتكامل وتنظم تنظيما يسهم في تخطي الحواجز بين المواد الدراسية المختلفة".

ويعرف أيضا بأنه "تقديم المعرفة في نمط وظيفي على صورة مفاهيم متدرجة ومترابطة تغطي الموضوعات المختلفة دون أن يكون هناك تجزئة أو تقسيم للمعرفة إلى ميادين مفصلة" .[5].

وعليه يمكن القول إن التكامل المعرفي في معناه العام بأنه النظر إلى أجزاء المعرفة المختلفة وتوظيفها للوصول إلى صورة كلية شاملة، وعدم استبعاد أي جزء منها قد يخل بالحكم العام أو الصورة الكاملة.

**المطلب الثاني: أهمية التكامل المعرفي**

سبق أن ذكرنا التكامل المعرفي هو الصورة الكلية للمعرفة وعليه فإنه لا بد من جمع الأجزاء المتفرقة، والنظر

---

[3] عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، 1993، ص 123

[4] الحاج لخضر، تأصيل نظري مفهوم التكامل المعرفي" قراءة في الفكر العربي الإسلامي، والفكر الغربي، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج7، عدد 1، 2022، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر – كلية العلوم الإنسانية والاجتماع، ص 45-46، وانظر ايضا لسعيد عواشرية، ص772

[5] رضوان الرواك، التكامل المعرفي في منهاج التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي بالمغرب :دراسة بيداغوجية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي المؤلف الرئيسي: الرواك، رضوان المجلد/العدد: ع84، 2022/3، ص35-36

في العلوم المختلفة وربطها ببعضها من أجل الوصول إلى حكم دقيق وصائب للقضية محل النظر، ولا يمكن الوصول إلى مثل هذا الحكم إلا بفهم تلك العلوم، والجمع بين فروعها المختلفة. وقد تنبه بعض المحققين قديما إلى أهمية الربط بين العلوم المختلفة، يقول الإمام الغزالي في كتابه ميزان العمل، بعد أن قسم العلوم إلى دينية ودنيوية وإلى ما هو محمود منها وما هو مذموم، وما هو فرض عين وما هو فرض كفاية:

"الوظيفة الخامسة :للمتعلم ألا يدع فناً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطّلع به على غايته ومقصده وطريقه. ثم إن ساعده العمر وأتته الأسباب طلب التبحّر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض، ويستفيد منه في الحال حتى لا يكون معادياً لذلك العلم بسبب جهله به. فإن الناس أعداء ما جهلوا .قال تعالى) :وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذا إِفْكٌ قَدِيم، قال الشاعر:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُراً بِهِ المَاءُ الزُّلَالاَ

فلا ينبغي أن يستهين بشيء من أنواع العلوم، بل ينبغي أن يحصّل كل علم ويعطيه حقه ومرتبته، فإن العلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله، أو معينة على أسباب السلوك، ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصد. والقوام بها حفظته كحفظة الثغور على طريق الجهاد والحج، ولكل واحد منها رتبه[6].

ويذكر ابن حزم في رسائله: بعد أن ذكر عددا من علوم الدنيا وعلوم الدين، والعلوم التي ذكرنا يتعلق بعضها ببعض ولا يستغنى منها علم عن غيره ... أن من اقتصر على علم واحد ولم يطالع غيره، أوشك أن يكون ضحكة، وكان ما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه أكثر مما أدرك منه لتعلق العلوم بعضها ببعض، وأنها درج بعضها إلى بعض، ومن طلب الاحتواء على كل علم أوشك أن ينقطع وينحسر، وليأخذ من كل علم بنصيب.[7] قال : وإن لم تمكن المرء الاحاطة بجميعها فليضرب في جميعها بسهم ما وإن قل،... وأنّه لابدّ أن يعرف من الحساب ما يعرف به القبلة والزّوال إلى أوقات الصّلوات، ولا يوقف على حقيقة ذلك إلّا بمعرفة الهيئة، ولا يعرف حقيقة البرهان في ذلك إلّا من وقف على حدود الكلام، ولا بدّ أن يعرف من الحساب أيضًا كيف قسمة المواريث والغنائم، قال: فإنّ تحقيق ذلك فرض لا بدّ منه، ولا بدّ في الشّريعة من معرفة العيوب، كعاهة الجنون، وقوام الآفات والأدواء، ومعرفة العلل ومداواتها يكون بتعلّم الطّبّ. ثمّ أكّد تعلّق العلوم بعضها ببعض، وافتقار بعضها إلى بعض، وبيّن إن لم يتمكّن المرء الإحاطة بجميعها، فليضرب في جميعها بسهم ما، وإن قلّ، وليكن النّاس فيها في تعاونهم على إقامة الواجب من ذلك عليهم كالمجتمعين لإقامة منزل، فإنّه لا بدّ من بنّاء وأُجراء ينقلون الحجر وينقلون الطّين، ومن صنّاع القرمد – كلّ ما طُلي به كالجصّ والزّعفران–

[6] المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/9264/170، الاسترجاع، 2024/8/16 الساعة 11:35 صباحا

[7] انظر رسائل ابن حزم، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983، 4/77-81

وقطّاعي الخشب وصنّاعي الأبواب والمسامير حتّى يتمّ البناء، وكذلك سائر ما بالنّاس الحاجة إليه من الحرث، فإنّه لا يتمّ إلّا بالتّعاون على القيام بآلاته والعمل بها[8].

**المطلب الثالث: التكامل في القرآن الكريم**

القرآن الكريم هو الكتاب الموثوق الذي يفسر حائق هذا الوجود، في تكامل دقيق بين العقل والنقل وتناغم تام بين عالم الغيب وعالم الشهادة، "وقد ارتبط التكامل في الحضارة العربية الإسلامية بالنص القرآني الذي يعتبر المصدر الأول والعلم الحق المؤدي إلى الإدراك التام الواعي لحقيقة الوجود الإلهي والكوني والانساني، وما ينتظم به من سنن، وما ينشأ عنه من علوم ومعارف؛ والتي نشأت بمختلف أصنافها وأنواعها خدمة للنص القرآني ، سواء من حيث البحث في بنيته ولفظه ولغته وأوجه إعجازه، أومن حيث البحث في حقائقه العلمية المتصلة بالكون والوجود والانسان، أو من حيث الاستجابة لأوامره في البحث والتدبر والتأمل باعتبار ذلك وجها من أوجه العبادة، وسبيلا لبلوغ إدراك عظمة الخالق، واستيعاب الكون القائم على التكامل بين أجزائه ومكوناته الراجع إلى المصدر والخالق الواحد"[9].

ولا شك أن تأويل القرآن وبيان معانيه، يجب النظر فيه إلى أهمية هذا التكامل، من أجل ذلك فقد اشترط العلماء لمفسر القرآن الكريم أن يبرع في عدد من العلوم لخصها السيوطي بقوله : "يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها، وهي خمسة عشر علما: أحدها: اللغة، لأنها بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها ...الثاني: النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ...الثالث: التصريف، لأن به تعرف الأبنية والصيغ ، الرابع: الاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما ..، الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، ...الثامن: علم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه. التاسع: أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤوّل ذلك، ويستدل على ما يستحيل، وما يجب، وما يجوز. العاشر: أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط. الحادي عشر: أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه. الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ، ليعلم المحكم من غيره. الثالث عشر: الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية

[8] المصدر نفسه، 4/80-81

[9] مصطفي العادل، التكامل المعرفي ضرورة منهجية ومعرفية المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، يناير-مارس 2021، عدد13، كلمة العدد، ص 11

المكتسب من أدلتها التفصيلية. الرابع عشر: الأحاديث المبيّنة لتفسير المجمل والمبهم. الخامس عشر: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، ... "[10]

هذا وقد أضاف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، فزاد هو وتلميذه السيد محمد رشيد رضا بعض العلوم الأخرى كالعلم بتاريخ البشر، وعلم السيرة، والعلوم الكونية، والعلم بالسير والتاريخ، وأن يكون على علم بعلم الاجتماع البشري.[11]

هذه الحاجة إلى هذا العدد من العلوم وربما يأتي الزمن بعلوم جديدة قد يكون لها أثر في بيان معاني النص القرآن، إنما هي نموذج للتكامل الحقيقي للإسلام نفسه الذي هو مجموعة من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق...، التي هي يهتم هذا المقال ببيانها عند الجيطالي والغزالي كونهما عنيا بهذا الجانب في كتابيهما قناطر الخيرات، وإحياء علوم الدين. ولعله من المناسب أن أذكر تعريفا بالكتابين وأوجه التشابه بينهما.

**المبحث الثاني: التعريف بالإمام الجيطالي وكتابه قناطر الخيرات**

**المطلب الأول: التعريف بالإمام الجيطالي**

هو العلامة، إسماعيل بن موسى الجيطالي، أبو طاهر ت: 750هـ / 1349م، عالم جليل، ولد بجبل نفوسة، ونشأ بمدينة جيطال، ولا يذكر المؤرخون سنة ميلاده بالتحديد ويرجح أن تكون سنة 695هـ/1296م. أخذ العلم عن علاَّمة زمانه أبي موسى عيسى ابن عيسى الطرميسي، رفقة أبي ساكن عامر الشماخي – صاحب كتاب الإيضاح في الفقه –، فكانا كفرسي رهان في الذكاء والتلقِّي من شيخهما، ثمَّ في التدريس والتأليف.

اشتهر الجيطالي بحافظته القوية العجيبة، فكان شيخاً حافظاً، عالماً، عاملاً، محافظاً، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. صاحَب أبا عزيز زمناً، وكان يتنقَّل بين القرى والمدن، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر. كثر حسَّاده وأضداده، كما ذكر في شرح النونية،[12] وشغلوه عن أداء رسالته، فصرف جانبا من حياته في مقاومتهم ودفْع مكائدهم، وذات مرَّة سافر إلى طرابلس (الغرب) لمآرب فاغتنموا فرصة وجوده في محيطهم فلم يزالوا يغرون به عامل طرابلس حتَّى عقد له مجلسا من العلماء لمناظرته، لكنَّه ظهر عليهم فأفحمهم فازدادوا عليه غيظا وحنقا، فظلُّوا يسعون ضدَّه للكيد به.

ويبدو أنَّ جرأته في الحقِّ، هي التي دفعت أمير طرابلس الغرب لإيداعه السجن، فمكث فيه مدَّة، ثم أطلق سراحه بواسطة ابن مكي والي قابس. ويقول الشماخي إنَّ أبناء الشيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور، هم

[10] انظر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، 213/4 بتصرف
[11] انظر أبو شهبة، الاسرائيليات في القرآن، ص 38، بتصرف
[12] الجيطالي وفكره العقدي، ص 67، ويقل إنهم حاولوا اغتياله

الذين عملوا على إطلاق سراحه من السجن، وتحمَّلوا معه مالاً في سبيل الله.

وبعد خروجه من السجن، قصد جزيرة جربة ونزل بها، فاستقبله علماؤها بحفاوة، واجتمع حوله الطلبة في حلقات للعلم. وكان يدِّرس ويصنِّف في المجلس الواحد. وقد درَّس الفقه والآداب والشعر في مزغورة بجربة.

لقِّب ب "فيلسوف الإسلام"، بغزالي المغرب، تشبيها له بأبي حامد الغزالي. ويعد كتاب (قناطر الخيرات) من أهم مصنفات الجيطالي، ويقع في ثلاثة أجزاء، وهي موسوعة فقهية وأخلاقية (مطبوع). أما الجزء الأوَّل – الذي يحوي قنطرتي العلم والإيمان – فقد حقَّقه الدكتور عمرو خليفة النامي، وطبع مرتين، وهو الذي عليه مدار هذا البحث.

هذا وقد امتاز الجيطالي في كتاباته بأسلوب رفيع، وبمنهج رصين، توفي، رحمه الله، في عام 750 هـ ودفن في المقبرة المجاورة للجامع الكبير. في جزيرة جربه.[13]

**المطلب الثاني: التعريف بكتاب قناطر الخيرات**

يعد كتاب قناطر الخيرات من أهم مؤلفات الجيطالي، وهو كتاب في التزكية جعله المؤلف في ابواب سماها قناطر: ضمنه سبع عشرة قنطرة بدأها بقنطرة العلم، قنطرة الإيمان، قنطرة الصلاة، قنطرة الزكاة، قنطرة الحج، قنطرة التوبة، قنطرة الدنيا، قنطرة الخلق، قنطرة الشيطان، قنطرة النفس، قنطرة العواض، قنطرة الخوف والرجاء، قنطرة العبادة، قنطرة القوادح في الطاعات، قنطرة الحمد والشكر، وقنطرة الاجتهاد.

"يعد كتاب قناطر الخيرات بأجزائه الثلاثة مرجعا أساسيا لكل مكتبة في العالم الاسلامي، وزادا علميا لكل مسلم ينشد التربية الصحيحة القائمة على أساس من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسير الصالحين الأولين.، وفيه بسط مستفيض للمنهج التربوي الذي سلكه الأولون عملا بالقرآن الكريم وتأسيا بالسنة العطرة، وعرض جيد للقناطر المتعددة التي يتحتم على كل إنسان أن يعبرها في حياته، أو قُل منذ بلوغه الرشد والتكليف ومرورا بالبعث والحساب واستقرارا في المستقر الأخير عند مليك مقتدر، إما إلى الجنة والنعيم وإما إلى النار والجحيم. اجتهد العلامة الجيطالي رحمه الله ان يجمع في هذا الكتاب القيم كل ما يحتاج إليه المسلم من توجيهات صادقة

[13] الجيطالي: قناطر الخيرات، 227/1، 253 *الجيطالي: قواعد الإسلام، مقدّمة المحقّق بكلّي عبد الرحمن *البرادي: الجواهر المنتقاة، 219*الشماخي: السير، 195/2، 118-198 *الباروني سليمان: الأزهار الرياضية، 89/2 *علي معمّر: الإباضية في موكب، ح107/2،69-111 *دبّوز: تاريخ المغرب الكبير، 389/3، 390 *سالم بن يعقوب: تاريخ جربة، 113-114 *النامي: مقدّمة قناطر الخيرات (قنطرة العلم) ج1 *دائرة المعارف الإسلامية: مادة الجيطالي *أبو راس الجربي: مؤنس الأحبّة *الجعبيري: نظام العزّابة، 242، 272، 287... *الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة، 123/1 *الجعبيري: دور المدرسة الإباضية، 144 *الجعبيري: ملامح عن الحركة العلمية، 10 *جهلان: الفكر السياسي، 51، 218 *جمعية التراث: دليل المخطوطات، كلّ فهارس المكتبات: إروان، خاصة 180؛ القطب؛ والإصلاح؛ ومتياز، والحاج سعيد، وآل يدّر...

إلى الخير والرشاد، وتحذيرات صارمة من الغواية والفساد، مما يجعل قارئه يعيش في جو من الإيمانيات الفياضة، ويتزود لدنياه وآخرته من المعارف الصحيحة، ويغذي وجدانه بما يجده بين يديه من النصوص القرآنية المختارة والأحاديث النبوية المناسبة، ومن الأقوال والحكم والأشعار الهادفة."[14]

وإذا كان أكثر علماء المغرب وقفوا من (الإحياء) موقف الرفض والاحتراز، فإننا نجد الجيطالي قد تصفح الكتاب وقرأه قراءة نقدية، ووضع على منواله كتابه الشهير" قناطر الخيرات" الذي يعد أعظم ما ألفه في أخريات حياته فهو عصارة أفكاره، إذا نجد فيه إشارات إلى الكتب التي صنفها من قبل: كشرح النونية وقواعد الإسلام والمناسك، ووقف الجيطالي من الإحياء موقف الناقد البصير، فلم يرفضه برمته، وكما أنه لم يقبله بحذافيره، بل كان واعيا فيما ينقل عن العزالي، يأخذ ما يقتنع به ، ويدع مالا يراه صوابا". [15]

ورغم مجيئه في زمن متأخر (8هـ/14م) لم يكن الجطالي مقلدا، وملخصا لأفكار الماضين دون وعي، بل استطاع أن يثبت شخصيته العلمية أثناء التعامل مع التراث ونقده وتحليله، ثم إعادة صياغتيه وتركيبه.

يذكر بن بكير أن الجيطالي يعطي الآراء الكلامية بعدا عمليا، وينزلها إلى مستوى الواقع، وذلك من خلال مزجه بين أصول الدين والأخلاق في كثير من القضايا، كقضية التوحيد، ومقامات الإيمان، والقضاء والقدر، والخوف والرجاء"[16]

وأشار أبو حجام، بأن الكتاب يشكل نسقا متكاملا في آراء الجيطالي الكلامية، وهذا ما نلمسه بصفة خاصة في مسألة التوحيد والصفات، والإيمان، والشفاعة، والخلود. الجيطالي وآراه الكلامية.

ويضيف، أن الجيطالي تأثر بأبي حامد الغزالي في ثلاث نقاط: في نظرية المعرفة، وفي أرائه التربوية، ومزجه بين أصول الدين والأخلاق، كما أفاد من عقلية الوليد بن رشد ومنهجه في عرض الفقه وتصنيفه.

بذلك يمثل الجيطالي ذروة الالتقاء والتقارب بين الفكر الإباضي والفكر الأشعري في القرن الثامن الهجري اللذين ظلا متعايشين في البيئة المغربية".[17]

مثل الجيطالي أصالة الفكر الإباضي في عصر كثر فيه الجدل والنقاش والمناظرة، واشتد فيه التعصب والهجوم على رأي الآخر.[18] وكان عصره الذي عاش فيه عصر اضطرابات وفتن إبان ضعف الدولة الحفصية التي حكمت المغرب بعد الموحدين، تعرض فيها الجيطالي للسجن من قبل والي طرابلس بسبب جرأته في قول الحق،

---

[14] انظر موقع المكتبة السعيدية https://alsaidia.com/node/

[15] انظر، بابا واعمر خضير بن بكير، الجيطالي وفكره العقدي ص 11

[16] المصدر نفسه ص 11-12

[17] انظر مقدمة الكتاب، أبو حجام، ص 12-13

[18] المصدر نفسه، المقدمة، ص 10

وقيامه بواجب الأمر والنهي". [19]

ولعله من المناسب أن نشير هنا إلى التشابه بين عصر الجيطالي وعصر الإمام العزالي، ففي عصر الأخير كانت الفتنة المذهبية ثائرة ببغداد، بين الحنابلة وهم جمهور أهل العراق وبين الشافعية، يذكر ابن الجوزي أنه في عام 469 هـ ووقعت الفتنة في بغداد بين الحنابلة والأشعرية اما الفتن بين الحنابلة والشيعة ببغداد فكانت مستدامة وكان ضحاياها البشرية كثيرة، وخسرانها المادي كبيرا، وفي ذلك العصر ظهرت الفتنة بوجه جديد هو الوجه الفاطمي الذي خاف منه بنو العباس. كما استفحلت في عصره العقيدة الإسماعيلية النزارية وظهر السلاجقة الحنفية مع التركمان، وتقوى مذهبهم ونصره الوزير عميد الملك منصور بن محمد الكندري، وبالغ في نصرته، ونال الاشعرية منه أذى، وصار يقصدهم بالإهانة والأذى، والعزل من الخطابة والتدريس، ثم جاء بعده الوزير نظام الملك فنصر مذهب الشافعية. [20]

**المطلب الثالث: تأثر الجيطالي بكتاب إحياء علوم الدين**

قدم العزالي في كتابه الإحياء طرحا مبتكرا لم يكن معهودا لدى فقهاء عصره، جمع فيه بين طريقتين طريقة أهل الفقه وطريقة أهل الزهد والتصوف، أخرج النص من كونه دالا على الحكم فقط إلى مضامين أوسع تتعلق بالأخلاق والسلوك والقيم، فأعطى لهذه النصوص بعدا عمليا، ولم يتردد في خدمة هذا الهدف أن استخدم ما وعاه من تلك الآثار بغض النظر عن مدى تحقق اشتراطات أهل الحديث ومعاييرهم ما دام يخدم ا لهدف الذي ينشده.

ولعل هذا الطرح أعجب به الكثيرون مقابل الذين انتقدوه، ومن هؤلاء العلامة الجيطالي، ونستطيع القول بعد النظر في الكتابين والمقارنة بينهما أن الجيطالي أفاد من الإحياء كثيرا فنسج على منواله، وترسم خطاه وطريقته، فكتاب الإحياء يشتمل على العقائد، والفقه، وتزكية النفس، والأخلاق، وكذلك رتب الجيطالي كتابه على قناطر تشتمل على العقائد، والفقه، وتزكيه النفس، والأخلاق.

كما أن ترتيب الكتابين متشابه جدا إن لم يكن هو نفسه، إذ بدأ الغزالي كتابه بموضوع العلم، ثم كتاب العقائد، ثم كتاب اسرار الطهارة، ثم كتاب أسرار الصلاة، ثم كتاب اسرار الزكاة، ثم اسرار الحج، ثم الآداب...

أما الجيطالي فرتب كتابه على قناطر سماه، (قناطر الخيرات)، ضمنه سبع عشرة قنطرة بدأها بقنطرة العلم، ثم قنطرة الإيمان، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الحج، التوبة، الدنيا، الخلق، الشيطان، قنطرة النفس، قنطرة العواض، قنطرة الخوف والرجاء، قنطرة العبادة، قنطرة القوادح في الطاعات، قنطرة الحمد والشكر، وقنطرة الاجتهاد.

---

[19] المصدر نفسه، ص 37، نقلا عن الشماخي، كتاب السير، 196/2

[20] انظر مصطفي جواد، عصر الأمام الغزالي، ص110، 115، اتحاد الكتاب العرب، مج6، ع22، **1986**

ويلاحظ القارئ من أول قراءته في كتاب الجيطالي أنه اعتمد على المادة العلمية التي قدمها الغزالي وانتخب منها مادة كتابه لذلك لم يسلم هو الآخر من بعض الآثار الغربية، والروايات الضعيفة، وشديدة الضعف.

على الرغم مما لقيه العالمان الجليلان من تضييق وحسد من قبل علماء عصرهم إلا أن الكتابين أسسا لنوع جديد من الفقه؛ الفقه المرتبط بالعمل والسلوك المبني على عقيدة صافية راسخة، وهو الهدف الحقيقي الأول الذي ينشده هذا الدين من المسلم، كما في قوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت: 45، وقوله (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة: 183، وقد بقيت آثارهما حتى اليوم (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) الرعد: 17.

وكما أثنى على الإحياء جمع من العلماء مثل السبكي، وابن خلكان وقاضي شهبة، وقالوا بأنه أنفس الكتب وأجملها، وأنه الأعجوبة العظيم الشأن،[21] فكذلك نال كتاب الجيطالي ثناء مشابها فقد وصفه عبد العزيز الثميني بأنه كتاب " جامع لعلوم الدنيا والآخرة، ومهذبا للخواطر، دال على علو درجة مؤلفه في العلوم، سالما من الطعن فيه بأدني خدش أو كلوم، شاهدا له بالفوز بالحظ الوافر من علم اليقين والكشف كما نطق به فحوى كلامه. وقال عنه العلامة يحيى معمر: أنه لو لم يقدم للمكتبة الإسلامية إلا هذا الكتاب (القناطر) لكان فيه الكفاية [22]

## المبحث الثالث: التكامل المعرفي عند الجيطالي

### المطلب الأول: تكامل مصادر المعرفة

يؤكد الجيطالي عن أهمية العقل كونه المصدر الأول للمعرفة، وأنه، آلة لدرك العلوم وأس الفضائل، وينبوع الآداب، وأصل التكليف"[23] وبالعقل يمكن التوصل إلى وجود الخالق، وأنه يتعين على الإنسان إذا بلغ سن التكليف معرفة خالقه الرحيم اللطيف، ثم نظر بعقله الذي هو حجج الله تعالى على المكلفين مع سائر حججه من الأنبياء والمرسلين، فيستدل بالصنعة على الصانع فيعلم يقينا أن الصنعة لا بد لها من صانع، وأن الخلق لا بد له من خالق.. وهذا الاستدلال الذي يذكره الجيطالي هو استدلال عقلي، يقول: " فإذا أمعن النظر بعين البصيرة لا عين البصر، علم أن لهذه الصنعة صانعا، ولهذه النعمة منعما.."[24] ويقسم العقل إلى قسمين غريزي ومكتسب. فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف... وبه يمتاز الإنسان عن سائر

[21] انظر مصطفي مبارك، 1611-1612

[22] الجانب الإلهي، مصطفي مبارك، ص 1626، نقلا عن معالم الدين للثميني ص 88، وعلي معمر، الاباضية في موكب التاريخ ص 350

[23] الجيطالي، قناطر الخيرات، 23/1

[24] الجيطالي، قناطر الخيرات، 9/1

الحيوان...ومكتسب: فهو نتيجة العقل الغريزي وذلك علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال. [25]

ولا شك أن العقل وحده لا يمكن أن يصل إلى معرفة عبادة الخالق بتفاصيلها وكيفياتها إلا بالوحي، فالوحي والعقل هما المصدران المعول عليهما في معرفة الخالق وكيف يعبد، التي تكون بهما النجاة، كما يقرر الجيطالي، من العذاب يوم القيامة، وأن المكلف "لن يصل إلى السلامة من الدنيا، إلا بتنبيه مخبر أو إلهام يبعث عقله على التفكر، والبحث، والنظر، فيتفكر في الدليل من خلق السماوات والأرض وما فيهما.. ويستدل بالصنعة على الصانع.. "فيقمع من شهوات النفس ما خرج عن طاعة الشرع والعقل"..[26]

ثم يضيف الجيطالي إلى هذين المصدرين الاساسين، الآثار والمعاني، والحسن فيقول: "فأما بيان فضله أي العلم، فعلى خمسة أقسام: من الكتاب، والسنة، والآثار، والمعاني، والحس.

ثم يفسر المعاني بقوله : "أما من جهة المعاني فوجوه كثيرة، وذلك أن الله قال في كتابه "قل متاع الدنيا قليل" النساء:77 ، فقللها وصغرها مع أن العقلاء والناس عليها يقتتلون، وفيها يتنافسون، فهذا المعنى الذي شرفه الله وعظمه وجعله خيرا كثيرا أولى بالتنافس فيه وشدة الحرص عليه، والطلب له، إذ فيه عز الدنيا والآخرة ..[27]

ومحصلة ذلك يؤكد الجيطالي أن مصادر المعرفة تتكامل في طرق ثلاث، وقيل في أربع: أحداها الحس، والثانية العقل، والثالثة السمع، والرابعة البديهة"[28] ويدخل في السمع كل معرفة مسموعة سواء كانت وحيا أو غيره مثل إجماع الأمة وأثار الصحابة وهي التي سماها طرق العلم المحمود.[29]

**المطلب الثاني: التكامل في المحتوى**

يتطرق الجيطالي في هذا الشأن إلى فروع عدة ومن النماذج التي يمكن ذكرها تكامل العلوم، ففي الباب الرابع من قنطرة العلم، يتحدث الجيطالي عن العلم الذي هو فرض كفاية وقسمه إلى علم شرعي، وعلم غير شرعي، وذكر أن الشرعي ما يستفاد من الأنبياء عليهم السلام ولا يرشد إليه العقل ولا التجربة، والعلم غير الشرعي وقسمه إلى محمود ومذموم، والمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب.

ثم أطال في بيان العلوم الشرعية؛ الأصول منها والفروع، والمحمود منها والمذموم، وقال: "لا ينبغي أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم–أعني علم الفتاوى وعلم اللغة والنحو المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما تقدم ذكره من أنواع العلوم التي فرض كفاية – ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجينا لهذه

[25] المصدر نفسه، 28/1
[26] نظر، الجيطالي، قناطر الخيرات، 1/8-14
[27] المصدر نفسه 1، 40، 53
[28] المصدر نفسه، 91/1
[29] المصدر نفسه، 76/1

العلوم". [30] يشير بذلك إلى أن العلوم تتكامل فيما بينها ولا يمكن فصل فرع منها عن الآخر، لكنه يرى تبعا للغزالي أن العلم الذي له الفضل على سائر العلوم هو علم الآخرة، وسماه علم المكاشفة، وأن الفضل الذي ناله الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر إنما هو العلم بالله تعالى، وهو الذي يشير إليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم، "ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ، ولا بكثرة صيام، ولكن بشيء وقر في صدره"، وذكر أن ابن مسعود رضي الله عنه قال حين مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مات اليوم تسعة أعشار من العلم، فقيل له: أتقول هذا وفينا أجلة الصحابة؟ فقال: لست أريد العلم بالفتوى والأحكام، وإنما أريد العلم بالله تعالى". [31] يريد الجيطالي بذلك أن العلم بالله الذي هو أشرف العلوم إنما هو العلم الذي يتبعه العمل أو العلم الذي يتكامل فيه العلم والعمل جميعا، كما سيأتي بيانه في المبحث التالي.

**المطلب الثالث: التكامل بين الإيمان والعمل**

كما يتكامل العلم بفروعه المختلفة فكذلك يتكامل العلم والعمل، إذ لا يتصور صحة العمل وقبوله بدون علم، ولأجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب كما يقول الجيطالي "أن العلم والعمل جوهران لأجلهما كان جميع ما ترى وما تسمع من تصنيف المصنفين، وتعليم المسلمين، بل لأجلهما أنزلت الكتب وأرسلت الرسل، بل لأجلهما خلقت الدنيا والآخرة، وقد بان لك أن العلم أشرف جوهرا من العبادة، ولكن لا بد للعبد من العبادة، وإلا كان عمله هباء منثورا، فإن العلم بمنزلة الشجرة، والعبادة ثمرة من ثمارها.. وأن بناء العبادة كلها على العلم.."[32]

ولا يقصد الجيطالي في حديثه هذا العلم وحده المجرد عن العمل، وإنما العلم المراد به وجه الله، الدال على طريق الآخرة، فهو يقسم العلوم إلى ثلاثة أقسام "

"وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة: علم مجرد وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد كعدل السلطان وضبطه الناس، ومركب من علم وعمل، وهو طريق علم الآخرة؛ فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا. فانظر إلى نفسك لتكون في حزب علماء الله عزوجل، او عمال الله، أو من حزبيهما وتضرب بسهمك مع كل فريق منهما، وهذا أهم لك من التقليد بمجرد الاشتهار". [33] ونحن نعلم أن العلم إذا لم يقترن بالعمل كان وبالا على صاحبه، وهو أشبه ما يكون بعلم إبليس، ويدخل فيه كل عليم اللسان، كما ورد في الحديث الشريف عن عمران بن الحصين إنَّ أَخْوَفَ ما أخافُ عليكُم بعدي، كلُّ منافقٍ عليمُ اللِّسانِ[34]، وعليه فإن الثمرة الحقيقية للعلم إنما هو

[30] الجيطالي، قناطر الخيرات، 81/1 وانظر ما بعدها من الصفحات

[31] المصدر نفسه، 89/1

[32] المصدر نفسه، 72/1-73 بتصرف

[33] ينظر المصدر نفسه، 90/1-91

[34] رواه الطبراني في الكبير والبزار، المنذري، صحيح الترغيب، ص 132، طريق الإسلام،

العمل، وبدون هذا التكامل يصبح العلم عديم الفائدة.

وهذا الذي قرره الجيطالي إنما هو مذهب جمهور علماء الأمة، واستدلوا له بأدلة كثيرة منها قوله تعالى :(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) البقرة:143، أي: صلاتكم، قال الحليمي :أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك؛ فكل طاعة إيمان؛ وبوّب البخاري في صحيحه :باب الصلاة من الإيمان .وقوله صلى الله عليه وسلم :الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان .رواه البخاري، ومسلم .وهذا لفظ مسلم، والحديث دليل على إدخال الطاعات في الإيمان، سواء كانت قولية، أم قلبية، أم عملية، قال الإمام ابن القيم في كتاب الصلاة :الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة تسمى إيمانًا، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة، والحج، والصوم، والأعمال الباطنة، كالحياء، والتوكل[35]...

وقد سأل أبو ذر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فتلا عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم :(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) البقرة177.[36]

هذا وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري عن عبدالرزاق في مصنفه أنه مذهب السلف وفقهاء الأمصار، وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في " كتاب السنة " عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة ، وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص"[37]

---

https://www.islamweb.net/ar/library/content/87/891

[35] الشبكة الإسلامية،

https://www.islamweb.net/ar/fatwa/12517/%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86

[36] جمال المراكبي، شبكة الألوكة،

https://www.alukah.net/sharia/0/24244/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86-%D9%82%D9%88%D9%84-%D9%88%D8%B9%D9%85%D9%84/

[37] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري،

https://www.islamweb.net/ar/library/content/52/13/%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D9%82%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%8A-%D8%B5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87-%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%85-%D8%A8%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%AE%D9%85%D8%B3

ونقل ابن رجب في شرحه للبخاري الإجماع عليه وقال: أن أكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل. وهذا كله إجماع من السلف وعلماء أهل الحديث. وقد حكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين عليه وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضا.

وقال الأوزراعي: كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل وحكاه غير واحد من سلف العلماء عن أهل السنة والجماعة. وممن حكى ذلك عن أهل السنة والجماعة: الفضيل بن عياض، ووكيع بن الجراح. وممن روي عنه أن الإيمان قول وعمل: الحسن، وسعيد بن جبير، وعمر بن عبد العزيز، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وهو قول الثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وأبي ثور، وغيرهم. قال ابن رجب: وإذا أطلق الإسلام دخل فيه الإيمان وبالعكس. وقد استدل على أن الأعمال تدخل في الإيمان بهذه الآية، وهي قوله: {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} طوائف من الأئمة، منهم الشافعي، وأحمد، والحميدي، وقال الشافعي: ليس عليهم أحج من هذه الآية.

واستدل الأوزاعي بقوله تعالى {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} إلى قوله {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا} (الشورى: ١٣)، وقال: الدين: الإيمان والعمل، واستدل بقوله تعالى {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} (التوبة: ١١). وقد ذكر الخلال في كتاب "السنة" أقوال هؤلاء الأئمة بألفاظهم بالأسانيد إليهم.[38]

وقد ألح الجيطالي على قضية تكامل الإيمان والعمل في أكثر من موضع، يقول في المقدمة الثالثة من قنطرة الإيمان والتوحيد: "من الإيمان العمل بالأركان وتحقيقه بالأفعال شرعا وسمعا، أما الشرع فقول الله تعالى "وما كان الله ليضيع إيمانكم" البقرة: 143، إي صلاتكم إلى بيت المقدس على قول أهل التفسير، ... وأما السنة فكقول النبي عليه السلام "الإيمان مائة جزء أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" وقال عليه السلام " الحياء شعبة من الإيمان".. وهذه الأخبار عنه عليه السلام دالة على أن الأعمال من الإيمان.."[39]

**المطلب الثالث: التكامل بين الإيمان والإسلام**

اختلف علماء الكلام والمفسرون في معاني الإيمان والإسلام وهل هما شيء واحد أو شيئان منفصلان، ذلك أن من آيات القرآن الكريم ما يشير للتكامل ومنها ما يشير إلى الانفصال، فمثال الثاني قوله تعالى "قالت

[38] ابن رجب الحنبلي، شرح صحيح البخاري، جامع الكتب الإسلامية،
https://ketabonline.com/ar/books/1794/read?part=1&page=15&index=3053729

[39] الجيطالي، القناطر، 1/247-248

الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" الحجرات: 14، قال الزمخشري في معناها: "الإيمان: هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس. والإسلام: الدخول في السلم. والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين. ألا ترى إلى قوله تعالى: { وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْاِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ } فاعلم أنّ ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان، وقال ابن كثير: "وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص"[40] واستدل على المعنى الأول، إي أنهما شيء واحد قول الله عزوجل "فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين" الذاريات 25-26 ، وقوله تعالى: "إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين" يونس 84

قال ابن كثير: "احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم، ولا ينعكس، فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال". قال الرازي: والحق أن المسلم أعم من المؤمن وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه[41]

وإذا تجاوزنا هذا الاختلاف في مفهوم الإيمان والإسلام، نرى الجيطالي يفرق بينهما حينا، ويرى أنهما مترادفان حينا آخر، يقول: "واعلم أن الناس اختلفوا في الإيمان والإسلام هل هما شيء واحد أو كل واحد منهما غير الآخر؟ وإذا كان غيره فهل هو منفصل يوجد دونه أو هو مرتبط به وملازم له.

قيل: إنهما شيء واحد، وقيل هما شيئان لا يتواصلان، وقيل إنها شيئان، ولكن يرتبط أحدهما بالأخر. ثم يفرق بين المفهوم اللغوي والمفهوم الشرعي، ويقول إن موجب اللغة أن الإسلام أعم، والإيمان أخص، أما في مفهوم الشرع فيرى أن الشرع استعملهما على سبيل الترادف والتوارد، كما استعملها على سبيل الاختلاف، وعلى سبيل التداخل.

ومثّل للترادف بقوله تعالى " فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين" الذاريات 25-26، وقوله تعالى "إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين" يونس 84، كما استدل

[40] انظر موقع: التفاسير العظيمة،
https://www.greattafsirs.com/Tafsir_Library.aspx?LanguageID=1&SoraNo=49&AyahNo=14&MadhabNo=-1&TafsirNo=7 ، تاريخ الاسترجاع: 2024/9/26

[41] المصدر نفسه.

بحديث "بني الإسلام على خمس" وحديث أنه سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس" أما الاختلاف فذكر الآية السابقة المتفق عليها وهي قوله تعالى ""قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" الحجرات: 14.

ثم ذكر أن هناك قسما ثالثا سماه تبعا للإمام الغزالي التداخل ومثل له بحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الإسلام، فقيل له أي الإسلام أفضل؟ قال الإيمان" قال: رواه الغزالي في كتابه فإن صح فهو دليل على التداخل.[42] ولعله من الواضح فيما قدمناه أن الإيمان والإسلام يمكن أن يكونا مختلفين باعتبار المعنى اللغوي، ويمكن أن يكونا مترادفين بمعناهما الشرعي وهو التكامل الذي نشير إليه كما قرره الجيطالي في أكثر من موضع.

[42] الجيطالي، القناطر، 1/261-262 قال المعلق: رواه الإمام أحمد، والطبراني، عن عمرو بن عنبسة، أن رجلا قال يا رسول الله اي الإسلام أفضل قال الإيمان"

**الخاتمة:**

يمكننا أن نحوصل ما ورد في هذا البحث في النقاط التالية:

- إن قساوة الحياة وصعوبة الظروف غالبا ما تنتج فكرا حرا، يعجب به كثير من العلماء والدارسين، مهما وجد من المعارضة والمقاومة من جانب أهل التقليد والجمود على القديم، كما رأينا ذلك عند الإمام الغزالي، والإمام الجيطالي رغم أن بينهما قرون.
- إن التجديد في التأليف الذي أبدعه الإمام الغزالي في كتابه الإحياء من إعطاء العلم بعدا روحيا أخرويا وعلميا، نال الإعجاب من قبل الجيطالي، فنسج على منواله كتابه قناطر الخيرات مع محافظته على استقلاله الفكري.
- إن المعرفة كيان واحد، مهما تشعبت فروعها فهي متكاملة فيما بينها، فعلوم الدنيا إنما هي وسيلة إلى المعرفة بالله والتي هي أصل علوم الآخرة، وأن علوم الشريعة متكاملة فيما بينها ضرورة، إذا لا يمكن فصل فرع من فروعها عن الفروع الأخرى وإلا كانت المعرفة ناقصة مشلولة، إذ كيف يفصل علم التفسير عن علم اللغة أو علم الفقه أو أصوله، وهكذا يقال في علم العقيدة والحديث وغيرها، وهذا الذي قرره العلامة الجيطالي وألح عليه في كتابه القناطر.

**المراجع:**

1.باباوا عمر خضير بن بكير، الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، تقديم عمر أوركه، محمد ناصر بو حجام، جمعية التراث، غرداية، 2009.

2.التفاسير العظيمة، موقع الإلكتروني

**https://www.greattafsirs.com/Tafsir_Library.aspx?LanguageID=1&SoraNo=49&AyahNo=14&MadhabNo=-1&TafsirNo=72024/9/26 ، تاريخ الاسترجاع:**

3.الحاج لخضر، تأصيل نظري مفهوم التكامل المعرفي" قراءة في الفكر العربي الإسلامي، والفكر الغربي، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج7، عدد 1، 2022، جامعة باتنة، الجزائر

4.ابن حزم، رسائل ابن حزم، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983.

5.الراغب الأصفهاني، المفردات، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت

6.ابن رجب الحنبلي، شرح صحيح البخاري، جامع الكتب الإسلامية،

7.https://ketabonline.com/ar/books/1794/read?part=1&page=15&index=3053729

8.رضوان الرواك، التكامل المعرفي في منهاج التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي بالمغرب :دراسة بيداغوجية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي المؤلف الرئيسي: الرواك، رضوان

المجلد/العدد: ع84، 2022.

9.السعيدية، مكتبة الإلكترونية، https://alsaidia.com/node/

10.السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1429هـ/2008م، بيروت.

11.أبو شهبة، الاسرائيليات في القرآن، مكتبة السنة، ط4، 1408هـ، القاهرة.

12.العادل، مصطفى، التكامل المعرفي ضرورة منهجية ومعرفية، المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد13، مارس 2021

13.العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، موقع الشبكة الإسلامية،

https://www.islamweb.net/ar/library/content.14

15.مبارك، مصطفى عبد المنعم، الجانب الإلهي بين الإمام الغزالي، والإمام الجيطالي، مجلة قطاع أصول الدين، جامعة الإزهار، ع 17

16.المراكبي، جمال، شبكة الألوكة، موقع الالكتروني،

https://www.alukah.net/sharia.17

**18.**مصطفي جواد، عصر الأمام الغزالي، اتحاد الكتاب العرب، مج6، ع22، **1986**

19.مكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/9264/170،

20.ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير وآخرون، دار المعارف (نسخة الكترونية)

21.الميداني، عبد الرحمن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، 1993.